شذرة ذهب

من فن الأدب

من كلمات اللغة العربية ما يدل على أصل المعنى ، ومنها ما يدل على المعنى نفسه مع زيادة قيد أو شرط أو وصف حالة . مثال الأول أن تقول (افتخر) زيد فإنه يفيد أصل معنى الافتخار ، ومثال الثاني أن تقول (تبجح) زيد فإن معناه الافتخار ومعنى آخر زائد ، وهو أن يفخر الإنسان بما ليس عنده أو بصفة ليست فيه ، أو يفخر فخراً بأكثر مما عنده ، فيكون كريماً بالمال مثلاً ثم يصف من كرمه وجوده أكثر من الواقع ومما يعلمه الناس فيه ، فحينئذ يقال عنه إنه تبجح . وقريب من معنى التبجح (الفشخرة) — بفتح الفاء وفتح الشين — ومعناها في أنه الرجل الذي ينتفخ في المجالس ويكثر من ذكر ما أوتيه من ملك وأدب ويتطاول بذلك على الحاضرين .

ومثل (علم) فإنه يفيد أصل العلم ، أما إذا قلت (أحصى) فإنه يفيد زيادة معنى في العلم ، هو أنه علم علماً واسعاً كأن يعلم من الطب وحده أو الكيمياء وحدها ولا يقع له أن يعيها من العلوم .

مثل هذه الأوصاف أو الأفعال التي تدل على معنى مركب يجب أن نعنى بها ونجمع منها طائفة للقارئ والكاتب .

قد يريد أحد الكتاب أن يصف إنساناً بكونه متقلباً لا يثبت على رأي واحد فتارة يقول برأيه هذا ، وطوراً برأيه ذاك ، فهكذا كلمة كلها تدل على هذا المعنى المركب . ويكفيك إذا حفظت كلمة (إمعة) — بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة — فإنك تستعملها وتقول : فلان لا رأي له ، لكنه إمعة تريد أنه لا رأي له وأنه يتابع كل إنسان على رأيه .

وقد تريد أن تصف صاحبك بأنه لا يثبت على صداقة أحد فهو يؤاخي هذا يوماً ويتركه ، وينتقل إلى مؤاخاة الآخر وهكذا ، تريد وصفه بذلك فيعييك الأمر وربما صرفت لبيان هذا المعنى جملاً طويلة عريضة ولكن العرب يقولون : لا تثق بفلان فإنه مقطاع ، أي لا يثبت على مؤاخاة أحد .

وقد تحاول وصف بعض معارفك بأنه كسول لا ينشط إلى الكسب ولا يسعى في طلب معاشه فيضيق عليك الوصف أما إذا عرفت كلمة (ثلد) على وزن (كتف)

فانك تصفه به وتقول ان صاحبي فلان ابد لا يبرح منزله ولا يطلب معاشاً لنفسه

وقريب من كلمة (تنحج) التي معناها افتخر بما ليس فيه كلمة (ابتهر) هو ان يقول المرء فعلت كذا وأفعل كذا وهو لم يفعل شيئاً مما ادعى . وكثيرون يدعون اعمالا لم يعملوا فيضيق المرء ذرعاً بالواحد من هؤلاء ويريد ان يوجز في وصفه وفي الاخبار عنه بكلمة واحدة فأرى له ان يقول « دعوا من فلان فانه يبتهر في كل مايقول .

اما اذا كان المرء يقول فعلت الشيء ويكون قد فعله صدقاً . فهل من كلمة تدل على هذا المعنى ؟

تدل عليه كلمة (الابتيار) فاذا قلنا فلان يبتار كان معناه يقول ويفعل لا كصاحبنا الاول الذي يبتهر . وقد جمع الاعشى الشاعر الكلمتين في قوله

(فيهم تخــال تحت الغنا ء : إما ابتهاراً واما ابتيارا)

يقول انه لايليق بامرء ان يعرض بالفتيات ويأخذ في سرد حوادثه مع اوانس الحي فيقول كان من امري مع فلانة كذا وخبري مع فلانة كذا فهو لا يبتهر ولا يبتار ولا يقول عن الفتيات شيئاً صادقاً او كاذباً .

فليتق الله ازواج النساء وليأتسوا بالاعشى فانه موضوع للأسى .

ويعرض لك احياناً ان تقول . ان الدامي كان يكلم المدعى عليه اثناء المحاكمة بغيظ وغضب . فبدل ان تأتي بكلمتين تقول كان (يدمدم عليه) اي يكلمه بغضب واولئك تنهيب استعمالها لأولي الأمر لا البث ان تأنس بها وبأمثالها سماعك فتشيع وتروج بين الكتاب .

واذا مات امرؤ في ميعة الشباب وصحة الجسم واردت ان تخبر بذلك فقل مات فلان عبطة . اي شاباً صحيحاً . واعتبطه الموت . وقد نعيب آخر بكونه يشبه النساء في شدة تزينه واهتمامه بما يأتي في وصفه بكلام كثير . والاجدى لك ان تقول لاصحابي فلان فانه يترابق . قالوا ومعناه ان يتزين ويتنعم حتى يكون لونه وبيض « أي لماع » ولبشرته بريق

واذا اردت ان تثني على صديقك بانه ينفق على ذوي رحمه الفقراء ويكفيهم ذل السؤال تقول انه (يموقهم) ولكن هناك كلمة اخرى لاأرى بأساً في استعمالها وهي ان تقول انه (يقمدهم) — بتشديد العين — اي يقوم بامرهم ويكفيهم مؤونة الكسب

واحسبك تقول (يعول اخي (يجعد او تقول انها احف منها على السمع . نعم
ولكن الاستعمال كفيل بصقلها وادنائها من الذوق

والمرأة التي تبغض زوجها ماذا يقال لها ؟

يقال لها (فارك) اما اذا كانت تحب شخص (الفروق) وقالوا انها التي لا تحب غير
زوجها

واذا مر موكب في الشارع ورأيت امرأة تنظر اليه من النافذة بيتها وتمد عنقها
مبالغة في المشاهدة فقل انها (تطلع) السبب تمد عنقها متطاولة . واذا رأيت صاحبك
يمشي الهوينا ويسحب العصا واردت ان تحكي عنه تقول انه رأيته (خزل) اي
يمشي وهو متثاقل في مشيته . واذا كان صاحبك المذكور مولعا بمعاشرة النساء والجلوس
اليهن فقل عنه انه (زير) وقالوا في تفسيره انه الذي يكثر زيارة النساء . والراهب
لا تعرف له الكاتب غير كلمة هذا ولكنني الاكرة باسم آخر وهو رائدة فقيه رشاقة وحسنا .
وهو الأبيل وقالوا في معناه انه الراهب المنقطع عن النساء . ومن كلامهم الدالة
لو انصرها الابيل الذي قال به الشيخ جمال الدين عاملي الدين المرسي في هذا المعنى

لو انها برزت لاشمط راهب قد عاش عبادة لربه
والتذ بالطلب منه ما طلبت له متذكراً في الصيح لساعاته

لم يمنع ابن الرومي وجه من الوجه الحسن الفني والطموح الاادسه يتيه
خطرين وقوله لو أنها في آخر البيت لاعادة المشاهد لمن تتبع تلك النكات من حضورها
وطلها بمثلها ان تكون حسنا حليفة . وقوله لطالب منه ما طلبت له غاية في رقة
الصحو وكمال الاشارة . وقوله متذكراً في الشيخ مما يذكر حسن تلك الفتاة
فضلا لا كيف . وان حمانا عليك الفن وبعضهم القلب .

ويوجد للنفس تركيب اخر لا كلامه . فاذا اردت ان تخبر ان فلانا من
هؤلاء القوم . وعاش عمره كله وحده تؤدي هذا المعنى المركب دلالتك على قولك فلان
(يصحي) باللفظ البسيطة في وزن بمكم الى انه ترك اكل الحم

واذا رأيت الرجل الماكرة بسطامة ودروسة وميل الى البطالة والكسل فماذا تسمي
مثل هذا؟

تسميه الناوة وقالوا في تفسيرها انها ترك المذاكرة بخطرات الخاوسة
واذا كان هذا الكاتب نفسه قد اعتاد عادة قبيحة وهي انه يغمض عينيه ويفتحهما

دواليك واردت ان تنهاه عن ذلك فقل له دع هذه العادة بابي ولا ترضك عيبك ابي لاتمضها وتفنجها · وهو رباعي وماضيه أرضك على وزن اكرم ·

واذا لامك لائم على شيءٍ لم تفعله فقل انهُ «يتذمح » لي اي يتسبالي د بالم‌فعله · ومثله « يتجرم » وكلاهما على وزن يتكلم ومثلها يجني فلان على فلان

واذا وقح الرجل وقل حياؤه فلم يعد يبالي ذمهُ الناس او مدحوه · رضواعنهُ او سخطوا عليه · فذهب في ارتكاب الآثم واجتراح السيئات كل مذهب ماذا تسميه ؟

يسمونه «مستوقع » وفسروها بانه الرجل لايبالي ذماً ولا عاراً · وهناك تعبير آخر يفيد هذا المعنى · وهو قولهم ان فلاناً « يلحم الناس عرضه » اي يمكنهم من عرضه بما يفعله من القاذر والخزي فيقعون فيه ويطعنون عليه · فكانه بذلك جعل عرضه لحماً أطعمهم اياه · وأكل لحم الغير كناية عن اغتيابه والنيل من عرضه · ومنه قوله تعالى « ايحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً » · واذا مهدت للشاتم باحتمالك على سب فلان وشتمه كنت قد ألحمتك عرضه · وورد « ان الله يبغض البيت اللحم » بكسر الحاء على وزن كتف · وفسروه بالبيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بغيبتهم والاستطالة في اعراضهم · وكان الوليد بن عبد الملك ولد يقال له العباس · ولم يكن في اطواره واخلاقه كشبان بني مروان بل كان امرأ صدق يتشبه بعمر بن عبد العزيز فقال يخاطب قومه ويحثهم على الاتحاد والاقلاع عن الفجور ومخالفة الدين

ان البرية قد ملت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لاتلحمن ذئاب الناس عرضكمو   ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

فقوله (لا تلحمن بضم التاء وكسر الحاء وتشديد الميم المضمومة خطاب الجمع وقد حذفت واوه لالتقائها بنون التوكيد · اي ان الناس كالذئاب فلا تمكنوهم من الوقيعة فيكم لايقصرون كما ان الذئاب اذا رأوا فريسة اغروا بها ولم يدعوها

ومن الناس من يقابل الآخرين بذكر مايؤلمهم ذكره · ويصف من احوالهم مايخجلهم به على كره الحياة بل كراهة النفس · فهذا الرجل الذي يخجل الناس كذلك يسمى « أحوم » على وزن جعفر ويقال انه يوحم الناس — بتشديد الميم — اي يكره اليهم النفس · وهو مشتق من احم الطعام وغيره اذا كرهه ومله

وقد قام في زماننا قوم يتعصبون للعرب · ويعصرون من كلامهم

وآخرون يعمون كذلك بالمسلمين فماذا تسمي الاولين؟ وماذا تسمي الآخرين؟

الاولون يسمون (شعوبية) والواحد منهم (شعوبي) وقالوا في تفسير الشعوبية انهم الذين يحتقرون العرب.

والآخرون يسمون (دقلة) — بفتح القافين — وقالوا انهم الذين يظهرون عيوب المسلمين.

اما (دقلة) فظاهر انه مشتق من دقق نظره في الشيء اذا تأمل فيه. وبحث عما يخفى من امره. ومن يكره المسلمين يفعل ذلك ويفتش عن مساويهم ليشهر بها ويشنع عليها.

واما الاولون مبغضو العرب فلماذا سموا (شعوبية)؟

سموا بذلك نسبة الى الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الجماعة الكبيرة من الناس غير العرب. اما الجماعة الكبيرة من العرب فتسمى قبيلة كما ان الجماعة الكبيرة من بني اسرائيل تسمى سبط. فالقبائل للعرب. والاسباط لليهود. والشعوب لغير هؤلاء واولئك. ومنه قوله تعالى في صدد الامتنان على البشر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا). وكتب المعتمد بن عباد احد ملوك الاندلس الى يوسف بن تاشفين ملك المغرب يستنجده على الاسبانيول — «فانا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا. وتفرق جمعنا. وتغيرت انسابنا. فصرنا فيها شعوباً لا قبائل. واشتاتاً لا قرابة ولا عشائر» الخ. فانظر كيف قال انهم تلفت قبائلهم فلم يعودوا قبائل وانما اصبحوا شعوبا اي جماعات عجمية. وذلك بسبب فقدهم مزايا العرب وكريم خصالهم التي منها النجدة والعزة في حماية الذمار. والدفاع عن الجار.

اما الكتاب اليوم فقلما يفرقون بين (الشعوب) و (القبائل) وانما يستعملونها في مطلق الجماعات من اي جنس كانوا.

ولما كانت شعوب الاعاجم تحط من قدر قبائل العرب بادة سمي كل من يحتقر امر العرب (شعوبي)

اسكلة طرابلس الشام المغربي